

وليد اخلاصي ٢٠ سنتيمتراً من الملل

كان هوذا ما ارتاحت اليه عيناى : منزلقى يصب فى الشارع المزدحم ويختلط فيه ، يعكره ويرجه . انا ممد على كرسي عند مصبه ، اراقب بمتعة والناس ينزلون فيه ولا يعودون ، يتدحرجون ويحرقون . البدين كان يثير زوبعة ، والمربوع والقصير كذلك ، والنساء النحيلات كن يثرن زوبعة ، وكنت لا اتحرك من مكاني . عيناى فيهما قحة مصباح كهربائي . اغلقت عيني بعد لحظة . كدت اغفو .

ماذا ارى ؟ انه حلم ، حلم قصير ، انى احلم :

شرطي انا ينظم السير ويلقى الاوامر ، ينتفخ كالديك . العيون الجميلة لا ترشوه ، ولا ابتسامة - غريب عن البلد . كل الناس فى الحارة الضيقة المفتوحة الطرفين والتي تصب فى الشارع ، كلها يجب ان تتوقف : فقد حان وقت التفتيش . هيا اخرجوا ما فى جيوبكم ما فى قلوبكم .

دام التفتيش على عرض الرصيف مدة ؛ لا شيء يستحق الاهتمام ، كل الناس شرفاء وفارغون تماما . المح رسالة زرقاء ، الحب ينز منها ببشاعة ؛ هي كاذبة يا صغيرتي . امزقة الرسالة ، واطرد الفتاة من المنطقة .

صاحب المقهى الزجاجي طرد الحلم فى تلك اللحظة ؛ جلستى لم تعجبه ، ابتسم فى وجهه ثم ماتت الرقة فى عينيه . عدت لتوئى الى الشارع الصغير الضيق ، المنزلقى ابداً ؛ اصنافه فيضانه بتأملاتي ، انشر الشبكة والتقط الناس . افحص الشبكة ويهرب الناس .

الناس ! اين الناس ؟ كنت اعرفهم منذ آلاف السنين ، وكانوا يعرفونني ؛ كنا نذهب الى المعابد ونغني معا ونخترع الاساطير الطويلة والقصيرة ، ونسن قوانين مفيدة احياناً . لقد نسي الاصحاب كل شيء ، الا انا فما زلت اذكر ؛ من يذكر ؟ سيداتي سادتي من يذكر هل اصبحت الاشياء قديمة لتنسى !

الجديد ! ما الجديد ؟ ابتسامة الانوار المعلقة ؟ جري الفئران الحديدية على الاسفل الكئيب ؟ لا جديد . اقسم باللمحة التي شيعناها منذ قليل الا جديد . عدت شرط

وعاقبت رجلا بطيئا توقف امامي ليمنع رؤيتي للاشياء من الامتداد . هيا ابتعد ايها المعجوز؛ هو لا يبعد ، لكزته بكلمة على لساني لم تسمع ، مشى بعد قليل ، اشفقت عليه ، ناديته باسمه الذي لم اعرفه ، ولكنه غاب في الزحمة ، كان يذوب وكانت الزحمة تنمو وتنتشرطن . يجب ان ابقى شرطيا لانعم بالسلطة . لم انعم بالسلطة مرة واحدة : كنت تلميذا يضربني المعلم ، ولم اكن ابنا بارا فغضب والدي عليّ واشفقت امي على المنبوذ فخبأتني في ثيابها وخرجت آنذاك من الساحة . لم انعم بالسلطة حتى وانا ارمي بورقي في صندوق الانتخاب ؛ كانت بيضاء وانا احرم من متعة اختيار الافضل . من الافضل ؟ انا ؟

انا ! واسمي الكامل على سبيل الذكرى مكون من مقطعين وله ذيل مطرز بتجويف كبير كوعاء تطبخ فيه الرغبة ولا تنضج . كنا في الماضي نأكل الاشياء بدون ان تنضج . كل ما في جمعتي الآن رغبة في ادانة البشر ، تجريمهم ومن ثم اصدار العفو عنهم . انا احبهم حبا جما واريد لهم السعادة . صدقني ايها الرجل المتعل وجهك ، فانا لا اكرهك ابدا ، وسأدعك تمر بسلام من امامي ولن اكتب ضبطا بحقك . انا احب البشر منذ آدم فزورابنوح ، وحتى هذه الايام التي يضاجعون فيها عقولهم ولا ينجبون سوى الملل . يتزوجون ويتسرون ويتحولون الى انايب ويحبون ، ويأتي الملل الى الحياة كامل الحلقة يسجل في الدوائر الرسمية ، ويبكي في الليل ويجوع ويأكل الذي خلقه ولا يشبع .

مر حوض امرأة من امام عينيّ النافذتين حتى العظم ؛ مليئا بالسماك كان الحوض . هلت بالشبكة واصطدت واحدة ؛ كانت ميتة ، رميتها في الحوض من جديد . وحاولت ان اكلها فلم انجح ؛ كنت ارمي بالشبكة وافشل . كانت المرأة لا تبتم ، اما التي ظهرت من المزلق فقد سبقتها نظراتها الحادة ، ولم تكن تبتم ايضا ، ولم يكن الرجل الذي تربها يفعل ، ولم ابتسم انا . الشارع لا يبتسم ، الشارع يصرخ ، انا استمع الى الشارع الى المرأة والرجل اللذين كانا ينزلان ببطء . كنقطتين على لوح اسود كانا ينزلان ، تمثلان سراج الساكن ، تسكران ولا تتمايلان .

سقطت النشوة من اعلى ، والفرحة سقطت . عينايتا تسقطان على الاثنين وتقدمان لي ريرا كاملا وعاجلا :

تشير الدلائل الى ان الكائنين هما رجل وامرأة ، بداخلها امرأة ورجل ، ولدا في يفتين ويفصلها وادٍ سحيق ، بينها مسافة ويسمع من خلالها صراخ . انها يسيران ببطء ،

يدا الرجل في جيوبه والمرأة متشابكة الذراعين ، يحبان الالوان المتنافرة ويلتئم كل منهما كمية من القرف ولا يشبع . هما يتوقفان بعيدا ، ما زالا بعيدين ، يحبان رجلا عظيم الهامة ، يقبل يد المرأة فتشرق في نهديها رغبة . لم يحدث شيء بعد ذلك ، تابعا الطريق .

ارسلت جواسيسي من جديد . الزوجان يتهاديان كبطتين نائمتين ؛ احسست برغبة في الصيد ، ان اقتنص الزوجين كانت رغبتي . لم لا احبها ؟

— وهل احببت احدا ؟

— بل احب الناس جميعا .

— انت لا تحب هذين الزوجين ، الم تقل ذلك ؟

— انني اعتذر .

— ...

— انني اعتذر .

— لقد قبلت اعتذارك .

يا زوج الحمام الوديع ، احبكما ، وقد وقعت في هواكما منذ ولدتما في شارعي وترعرع وجودكما ونما . كنت اغو ايضا ، المدينة تنمو ولا اعود انا شيئا .

يا زوج الحمام الوديع ، ادعوكما لقضاء حفلة تعارف صغيرة ، لنقدم انفسنا نحن الثلاثة بعضنا لبعض .

« اتريدان شيئا من الموسيقى ؟ وانت يا سيدتي ، ما رأيك بكتاب عن السعادة ؟ انا انا فاريد شرابا مثلك يا سيدي يُنسي الم الهزيمة » .

انفض الجمع قبل ان ينمقد ، ولم تقبل الاسرة الصغيرة دعوتي . جعلت اراقبها جديد . الرجل يجبل بالصمت والمرأة كانت تراقب خطواتها بحذر .

— آمرك يا سيدتي ان تتعلقي بذراع صاحبك .

— انني متعلقة به واحبه .

— والمسافة التي تفصل بينكما ؟

— اريد ان اعود الى بيتي ، لقد مللت .

— ارجوك يا سيدي ان تحنو عليها .

— طلبك مقبول .

اريد ان اعود الى بيتي ؛ لقد مللت حقا ، وتصدا الوعاء الذي نطبخ الرغبة فيه ولا تنضج . انني حزين فقد فشلت في مهمتي ، لم استطع مع الشارع شيئا ؛ هو ما زال في صراخه ، والمسافات بين الناس واسعة . سقطت البارحة حجرة مسطحة ولامعة على رأس رجل كان يجلس مكاني على رصيف المقهى ، لم اصب انا بسوء ونقلوه هو الى الارض البكر بدون تحية . لم يغضب الشارع ولم يحزن ، لم احزن انا ؛ تبا لي ، كنت اعرفه ولم ابك . سأعود الى غرفتي فقد سئمت .

ايها السادة ، لقد انتهت دوريتي ، ساقوم حتما . لكن المرأة التي بداخلها رجل صرخت فجأة ، وكذلك فعل الرجل الذي بداخله امرأة . ولعت امامي في المنزلق مديتان ، استلت المرأة واحدة من زنارها واخرج الرجل الاخرى من جيبه الخلفي .

عاريان ، آدم وحواء في شارع مزدحم ، يصرخان ، وكوميض البرق الخاطف جرحت المديتان هلام الصراخ واغمدتا في الجسدين . تلقى الرجل الطعنة في ظهره فلم ييأس ، طعن روجته بين ثدييها فانفجر الصديد . تكررت بعد ذلك الطعنات ، كانت تتكرر كلعج بصر ، في ميكانيكية مكوك ، وصراخ الكائنين يوقع لحن المجزرة .

خذ ، خذ ، وانت خذي ، خذي . الدماء كانت تطفح ، لزجة مصفرة تطلي وجودهما . كنت ابتلع ريقى وكان الناس لا يأبهون ابدا . جماعة بقربي كانت تضحك ، والطعنات ما زالت ترقص يحنون . اريد ان اصرخ .

بعد لحظات ، الرجل كان يحتفظ بالمرأة بداخله ، والمرأة احتفظت بالرجل الاخر ايضا . لم يحدث بعد ذلك شيء ، مر الزوجان من امامي وظل ابتسامة تخيم على نصفي وجهيهما لا سفلين ، والعيون ما زالت جامدة تطفح بالفراغ . يا لله ، لم يتحرك احد للجريمة . شارع يصرخ ، ما زال يصرخ والقنيلان مرا من امامي ، ثم اختفيا في الزحمة . يجب ان اتمالك انفاسي ، انها تخنقني . لم انجح حتى في منع الجريمة التي لم يلحظها احد .